

التنمية المهنية المستدامة

الدكتور حسان هشام

أستاذ محاضر بالمركز الجامعي -الجلفة-

مقدمة:

يحفل العصر الذي نعيش فيه بالعديد من التحديات التي تواجه الإنسان، فكل يوم تظهر معطيات تكنولوجية جديدة تحتاج إلى خبرات وأفكار وأساليب ومهارات وآليات جديدة للتعامل معها بنجاح لتجاوز الواقع الحالي إلى واقع أكثر تقدماً في كل مجالات الحياة، وذلك لأننا نعيش في عصر الانفجار المعرفي، أي أننا نعيش عالماً جديداً يختلف كل الاختلاف عن سابقه.

وهذه الرؤية امتداداً لما أكده داركر (Druker,1994) من أن القرن العشرين رغم أنه شهد تحولات اجتماعية أكثر من أي فترة في تاريخ البشرية، ورغم سهولة إنجاز هذه التحولات إلا أنها مازالت في بدايتها، وبمعنى آخر توقع داركر (Druker) أن عصر التحول الاجتماعي لن يصل إلى نهايته بحلول عام 2000 م ولن يصل إلى ذروته في ذلك العام، و توقع أيضاً حدوث تغييرات مستقبلية بصورة غير يسيرة مثيرة تساؤلات حول دور كثير من المؤسسات في المجتمع بما فيها مؤسسات إعداد المعلم و تتميته مهنياً، ووصف هارجريفث (Margraves، 1994) التحولات التي تواجه المجتمع بأنها التحولات الاجتماعية والتاريخية من فترة الحداثة إلى فترة ما بعد الحداثة (widen، 1995) من منطلق أن هذا القرن يشهد عديداً من التحولات المهمة في مناحي عديدة ومن بين هذه التحولات.

- التحول من مجتمع معلومات إلى مجتمع غزارة المعلومات.
- ومن مجتمع المعرفة إلى مجتمع ما وراء المعرفة .
- ومن مجتمع التكنولوجيا إلى مجتمع التكنولوجيا فائقة التقدم.

- ومن مجتمع العولمة إلى مجتمع ما بعد العولمة، ومن بينها ظهور حق الملكية الفكرية.
 - ومن مجتمع الهندسة الوراثية إلى مجتمع الخريطة المعرفية والعلاج بالجينات (الجيโนม).
 - ومن مجتمع عصر الفضاء إلى مجتمع السماوات المفتوحة.
 - ومن مجتمع القنوات الأرضية إلى مجتمع القنوات الفضائية.
 - ومن مجتمع الحداثة إلى مجتمع ما بعد الحداثة.
 - ومن مجتمع مغلق محدود الانفتاح إلى مجتمع منفتح يتمشى مع عصر العولمة.
 - ومن مجتمع البيولوجيا الجزيئية إلى مجتمع التكنولوجيا الحيوية.
- تلك المتغيرات والتحويلات انعكست آثارها الإيجابية والسلبية على مؤسساتنا المختلفة بوجه عام و على مؤسساتنا التربوية والتعليمية بوجه خاص.
- و يعد التعليم من أكثر المجالات تأثرا بالتطورات الحادثة في المجتمع، كما أنه أكثر تأثرا بالمعطيات التكنولوجية وذلك لأن التعليم يعد العمود الفقري لإحداث التنمية الشاملة في المجتمع حيث تعتمد القدرة على التقدم لأي دولة على كفاءة نظامها التعليمي.
- وحتى تتمكن الجزائر من تحقيق التطور وملاحقة الدول المتقدمة فإن الأمر يقتضي الاهتمام بمواردها البشرية التي تمثل عنصر الوفرة حيث تبدو الرغبة في تطوير التعليم وتحديثه باعتباره قضية أمن الجزائر القومي من خلال توجيهات القيادة السياسية والمناقشات الرسمية في مجلسي الوطني ومجلس الأمة وكذا آراء المفكرين والخبراء و رجال التربية والاجتماع نظرا للشعور بعدم الرضا عن الأوضاع القائمة سواء بسبب ما يشوبها من قصور في أدواتها وإمكاناتها أو العجز في كفاياتها عن القيام بتأدية المسؤوليات التي تضطلع بها أو لأن التطورات المستحدثة في المجتمع والتطلعات الجديدة أصبحت فوق مستوى الأنظمة الحاضرة و فاعليتها نظرا لأن التطورات المستحدثة سريعة ومتلاحقة.

ومع الانفجار الهائل في معدلات زيادة المعلومات والمعرفة وازدياد استخدام التقنيات في الإنتاج والحياة اليومية، ومع ضرورة استخدام المنهج العلمي في تطوير مختلف نشاطات المجتمع، فإن مهام الجامعة ومهام أعضاء هيئة التدريس قد تطورت عما كانت عليه في السابق، فلم تعد الجامعة مؤسسة خدمات فقط بل أصبحت مؤسسة إنتاجية تساهم في الإنتاج مباشرة عن طريق البحث و الاستشارات، بالإضافة إلى دورها في تنمية القوى البشرية، من خلال ممارسة مهامها الأساسية المتمثلة في :

- نشر المعرفة وتشمل التدريس والتدريب.
- وتنمية المعرفة وتشمل البحث العلمي.
- وتطبيق المعرفة وتشمل خدمة المجتمع .

وتعد الجامعة من أكثر مؤسسات المجتمع أهمية في التأثير على درجة التقدم في المجتمع إلا أن أستاذ الجامعة يعد أهم الركائز داخل الجامعة فهو بحق أهم مدخلات المنظومة التعليمية سواء من حيث دوره كوسيط هام في نقل المعرفة والثقافة، بالإضافة إلى أنه يمثل قدوة هامة لطلابها، ولدوره الهام في مواجهة قضايا المجتمع ومشكلاته ... الخ .

و يتكون المجتمع الجامعي من قاعدة عريضة من جماهير الطلاب الذين هم طلائع الشباب المثقف من مختلف فئات المجتمع، وعدد من الإداريين والفنيين وعدد من أعضاء هيئة التدريس في مختلف التخصصات، بالإضافة إلى نخبة من قادة الفكر والعلم في المجتمع، و يعتمد نجاح أي تعليم جامعي جيد على مدى ما يتوافر له من عناصر جيدة من أعضاء هيئة التدريس فلا يوجد كيان للجامعات بدون الهيئات التدريسية، فهي حجر الزاوية فيها، وعلى أكتافهم يقوم العمل الجامعي ولا يخفى على أي إنسان مكانة الأستاذ الجامعي في بناء الأمة و تكوين نهضتها إذ لم يعد التعليم العالي رياضة ذهنية يقوم بها العالم مع فئة قليلة من طلابه يبحثون عن الحكمة بشتى أشكالها دون النظر إلى ما تقدمه المعارف إلى الأمة عامة من فوائد تنقيفية واجتماعية واقتصادية، و لم يعد من المقبول دراسة العلم في صومعة بعيدا عن مطالب الحياة بأشكالها المختلفة بل أصبح التعليم أداة رئيسية.لتحقيق مطالب المجتمع من النواحي

الاقتصادية والاجتماعية، وأن مما لا شك فيه أن عضو هيئة التدريس هو العماد الرئيسي في أي جامعة لأنه المؤتمن على تدريب الطاقات البشرية وإجراء الأبحاث العلمية، واقتراح الحلول للمشكلات التي تعترض المجتمع الذي يعيش فيه.

كما أن أستاذ الجامعة عنصر لا يمكن تعويضه في عملية التعليم ودوره يصبح أكثر أهمية في القرن الحادي والعشرين، لكن في نفس الوقت سوف يختلف دور أستاذ الجامعة في المستقبل عن دوره في الحاضر و في تقرير اللجنة الدولية عن التعليم في القرن الحادي والعشرين والمعروف بتقرير ديلور (Delor report) عن رسالة المعلم في التدريس و التربية و التوجيه والتقييم، بالإضافة إلى إظهار القدرة على إدارة الذات و تجديد المنظمة و جعلها أكثر عرضة للتغيير والانفتاح، و ينتظر عامة الناس أن ينجح المعلم في نقل المعرفة وفي تقديم التدريب الاجتماعي، وتنمية وتطوير الفضول لدى المعلمين والاستعداد للمبادرة الذاتية و بصفة خاصة. المعلم يجب أن يكون قدوة ونموذجاً في المسائل والقضايا الأخلاقية، و في تكوين علاقات جيدة مع المتعلمين ، و في اكتساب ثقتهم بأنفسهم ، و دور المعلم داخل الصف لن يقتصر على التوجيه و التسيير و تقديم المعرفة ، بل يتوقع أن يقوم بدور المستشار التعليمي و الأخلاقي بحيث يساعد الطلاب على توجيه أنفسهم في ظل الدوامة الهائلة من المعلومات المتصارعة، يتوقع أن يكون المعلم مصدراً للتغيير في مجتمعه، و بالنسبة لتكنولوجيا المعلومات فان دور المعلم لا يقتصر على تطوير المهارات و الأساليب لدى الطلاب بل سيمتد الى إثارة التأمل حول الاحتمالات و تأثيرا و حدود المعلوماتية في المجتمع.

ولذا فأستاذ الجامعة يحتاج الى التنمية المهنية المستدامة لانه الأكثر تعاملًا مع مفردات التكنولوجيا الحديثة الأمر الذي يحتم عليه ضرورة الاتصال بالتغيرات التكنولوجية و عدم الانفصال عنها ضمانا لعدم الوقوع في مشكلة التدهور في منتصف المهنة و ذلك من خلال التعلم مدى الحياة الذي اصبح ضرورة حيوية لعالمنا الدائم التغير.

ومن المبررات التي جعلت الكثير من الباحثين يولون الاهتمام بالتنمية المهنية، لعضو هيئة التدريس:

1- التطور التكنولوجي العالمي و انعكاساته على عمليتي لتعلم و التعليم و إدخال العديد من المعطيات التكنولوجية كالكومبيوتر وغيرها إلى المؤسسات التربوية و منها إلى الجامعات ، و بات امر معرفتها و حسن استخدامها من قبل الهيئات التدريسية في الجامعات أمر لا مناص منه .

2- تغير دور أساتذة الجامعات نتيجة للتطور الهائل في وسائل الاتصال و تضاعفت مصادر المعرفة المتوفرة لطلبة الجامعات ، مما أدى إلى تغيير في مجمل الموقف التعليمي و أصبح الأستاذ الجامعي منظما للعمليات التعليمية، و العامل الأساسي في عملية التعلم للطالب نفسه ، فنشر أسلوب المناقشة و الحوار والملتقيات والتدريس الفرقي، والتعلم المبرمج، و يترتب على ذلك ضرورة إعداد الاستاذ الجامعي لهذا التغيير التربوي.

حاجة أعضاء هيئة التدريس إلى الحافز المهني الذي يمكنهم من تحسين أدائهم للمهام الموكلة إليهم في ضوء وظائف الجامعة الأمر الذي يمكنهم من التكيف الأمثل مع بيئتهم المهنية.

ومن الجوانب الهامة التي تحتم التنمية لأستاذ الجامعة ظهور أمور فنية تكنولوجية تتطلبها طبيعة العصر مثل : الكومبيوتر، شبكة المعلومات والطرق الحديثة في استدعاء المعلومات وتخزينها، بل وصناعة المعلومات، ذاتها، ناهيك عن الجديد في نظم التأليف والبحث والاستقصاء وبنوك الأسئلة بكافة مستوياتها بداية من التذكر حتى المستويات الإبداعية، ثم استخدام نتائج الامتحانات في تطوير العملية التعليمية بدلا من كونها وسيلة للحكم على مستوى الطالب فقط، وهناك أيضا الطرق الأحدث لتطبيق المعرفة في خدمة المجتمع والبيئة وغير ذلك من الأمور الكثيرة التي تتطلب إنشاء مركز بكل جامعة لتنمية أعضاء هيئة التدريس.

وفي ضوء الدور الهام للجامعة كمؤسسة تربوية فاعلة في المجتمع، وفي ضوء الدور الهام و المؤثر لأستاذ الجامعة سوف نناقش قضية التنمية المهنية في ضوء متغيرات العصر من خلال المحاور التالية:

1- مفهوم التنمية المهنية و أهدافها و أساليبها.

2- أهم متغيرات العصر التي تحتم التنمية المهنية المستدامة لأستاذ الجامعة.

مقترحات لتحسين التنمية المهنية لأستاذ الجامعة في عصر العولمة

أولاً: مفهوم التنمية المهنية و أهدافها وأساليبها:

اتجهت معظم دول العالم مع بداية الألفية الثالثة إلى إحداث إصلاحات و تعديلات في أنظمتها التربوية و سياساتها التعليمية ككل وفقاً للأيديولوجية التي تتبناها كل دولة، و من أهم المجالات التي نالت حظاً وافراً في عملية الإصلاح و التطوير التدريب بل و التدريب التربوي المستمر و تدريب المعلمين و أساتذة الجامعات الذين يقع على عاتقهم عبء إعداد و تشكيل أجيال المستقبل سواء في مراحل التعليم الجامعي أو قبل الجامعي .

ومن هنا نجد أن تدريب أساتذة الجامعة أو تهميتهم مهنيًا من أهم السبل لرفع مستواهم و الارتقاء بهم لدرجة عالية من الجودة و الإتقان تتيح لهم الفرصة للتعامل مع معطيات القرن الجديد و تمكنهم من استيعاب الأساليب التكنولوجية الحديثة ما يسهم في الارتقاء بهم و بالمجتمع الجامعي لمستوى أفضل يمكنهم من تحقيق الجودة في الأداء الجامعي و تخريج مخرجات على مستوى عالٍ من الكفاءة تستطيع أن تحتل موقعها في المجتمع و في نفس الوقت يمكنها التنافس مع مخرجات التعليم في المجتمعات الأخرى.

لذا حظي موضوع التنمية المهنية للمعلمين عموماً باهتمام كبير، و تمخض هذا الاهتمام عن عقد مؤتمر في قطر عام 1995 م لتطوير إعداد المعلم قبل الخدمة و أثناءها، و أكدت إحدى توصيات المؤتمر على ضرورة الاهتمام بالتنمية المهنية للمعلمين وذلك للأسباب التالية :

1- مسايرة الانفجار المعرفي و التقدم في طرق و أساليب التدريس.

2- الثورة التكنولوجية التي ستؤدي إلى إحداث تغييرات في بنية التعليم و طبيعته.

3- التغيرات المستمرة في متطلبات مهنة التعليم .

4- اختلاف متعلم اليوم عن متعلم الأمس و اختلاف الاثنتين عن متعلم المستقبل، فمتعلم المستقبل سيتسم بفضولية أكثر و سيكون أكثر دراية ومعرفة وبالتالي يجب أن ينمو المعلم باستمرار لمواجهة المتعلمين في المستقبل.

وعليه نتساءل : ما مفهوم التنمية المهنية ؟

تعددت المداخل لتعريف التنمية المهنية كما حفلت الأدبيات التربوية بالعديد من التعريفات والمفاهيم التي تناولت التنمية المهنية ومن أهم هذه التعريفات:
- يعرف رايان **Rayan** (1999) التنمية المهنية بأنها: تلك الأنشطة التي يتم التخطيط لها من أجل المعلمين، و المصممة لمساعدتهم على تحقيق أهداف تعليمية محددة بطريقة أكثر كفاءة وفعالية، فالتنمية المهنية إذن تشمل مجموعة المهارات و المعارف و القدرات التي يلزم أن يتعلمها أستاذ الجامعة أثناء ممارسته لعمله بهدف تحسين كفاءته المهنية و أدائه لمسؤولياته.

- ويؤكد وليام **William** (1995) أن التنمية المهنية هي: مجموعة الأنشطة التعليمية الرسمية وغير الرسمية التي يقوم بها المعلم في المؤسسة التعليمية (المدرسة / الجامعة) من أجل التنمية المعرفية و الثقافية و المهنية و الشخصية و السلوكية.
وفي سياق آخر نجد من يعرف التنمية المهنية بأنها: عملية مستمرة وشاملة و طويلة المدة تتيح قدرا من الفرص و الحرية للمعلمين لأن يفكروا لأنفسهم من خلال الأنشطة و البرامج المتاحة لهم، لكي يصفوا بالتفكير الناقد شيئا من أنفسهم و يطوروا من أدائهم بطريقة تأملية ، وهي تبدأ منذ التخرج حتى نهاية الخدمة و تشمل أبعادا مما يشملها التدريب بالإضافة إلى أن التدريب أثناء الخدمة يمثل جانبا واحدا من عدة جوانب للتنمية المهنية .

فالتنمية المهنية لأستاذ الجامعة تساعده في تنمية مهاراته وقدراته لمواجهة الأدوار الجديدة والمتجددة و تنمية استعدادهم للاضطلاع بهذه الأدوار و تحمل العديد من المسؤوليات للمشاركة بإيجابية في عمليات تطوير التعليم.

أهداف التنمية المهنية :

إن الهدف من التنمية المهنية لأستاذ الجامعة هو غرس الشعور لديه للاتجاه نحو تحسين قدراته وتنمية مهاراته لكي تتفق مع طبيعة مهنته أولاً و لكي تتلاءم مع مستجدات العصر الدائم التغير من ناحية ثانية، و يمكن الإشارة لأهم أهداف التنمية المهنية فيما يلي:

- 1- تحسين و تطوير الأداء المهني لأستاذ الجامعة.
- 2- إحداث التعديلات و التغييرات في أداء الأستاذ الجامعي بما يتفق ومتغيرات العصر الحديث.
- 3- مزيد من الترقى لدرجات علمية أعلى و أفضل .
- 4- اكتساب المزيد من المهارات و الخبرات والمعارف والمعلومات التي تسهم في رفع المستوى الفكري و الثقافي.
- 5- التزود بالطرق و الأساليب العلمية الحديثة التي تسهم و تساعد في رفع مستوى الأداء.
- 6- زيادة الخبرات لدى أستاذ الجامعة بما يمكنه من اتخاذ القرار سواء في العمل العلمي الأكاديمي أو العمل الإداري في مختلف المواقع و المواقف داخل الجامعة.

أساليب التنمية المهنية:

تتباين أساليب التنمية المهنية لأستاذ الجامعة بما يحقق الهدف منها و العمل على زيادة الكفاءة المهنية لهم للمساهمة في تطوير و تحسين الأداء الجامعي ومن أهم هذه الأساليب:

1- الملتقيات:

تعد الملتقيات من أهم أساليب التنمية المهنية لأستاذ الجامعة لأنها فرصة طيبة و إيجابية لتلاقي الخبرات والأفكار و الآراء في شكل جماعي ، و يعد هذا التجمع فرصة طيبة لتدريب أستاذ الجامعة على الحوار والمناقشة و الاستفادة من الآراء و الأفكار الجديدة بالإضافة إلى أنها فرصة لاكتساب المزيد من المعلومات والخبرات و المهارات في مجال تخصصه.

2- الورشة التعليمية:

تعد الورشة التعليمية من أفضل أساليب التنمية المهنية التي تحظى بقدر كبير من النجاح و الانتشار لأنها تسيير وفق نظام يعمل فيه أستاذ الجامعة بشكل جماعي و تعاوني في ضوء عدة أسس من أهمها :

- وجود خبراء و متخصصين يتوافر لديهم الوعي بنظام العمل بالورشة.
- التخطيط الجيد للورشة بما يضمن نجاحها و تحقيق أهدافها.

3- التعليم عن بعد :

يعتبر التعليم عن بعد أحد النماذج التعليمية التي تهتم بمساعدة الفرد على الحصول على المعرفة والعلم و التدريب التي يحتاجها، فهو نموذج يعمل على توفير فرص التعلم و نقل المعرفة للمتعلمين و تطوير مهارتهم في مختلف التخصصات عن طريق وسائل و أساليب تختلف عن تلك المستخدمة في نظم التعليم العادية، و لقد أطلقت عدة تسميات على التعليم عن بعد منها : التعليم المفتوح، التعليم بلا حدود، التعليم بالمراسلة، التعليم المستقل.

إن فكرة التعليم و التدريب عن بعد ليست بجديدة لكن مفهومه الحديث ظهر في النصف الثاني من القرن الماضي حين تزامن وجوده مع التقدم التكنولوجي في مجال الاتصال والإرسال والاستقبال التليفزيوني والإذاعي.

ولقد عرف البعض التعليم والتدريب عن بعد بأنه كل نموذج أو شكل أو نظام تعليمي لا يخضع لإشراف مباشر ومستمر من قبل المعلم من خلال تواجده الفيزيقي مع المتعلمين في حجرة الدراسة وهو يشمل كافة الوسائط التي يتم التعلم من خلالها بما في ذلك الكلمة المطبوعة و الأجهزة الأخرى المختلفة .

كما يعرفه بأنه محاولة لإيصال الخدمة التعليمية إلى الفئات التي لا تستطيع الحضور إلى المؤسسات التعليمية.

ويعرفه توني Tonny بأنه نظام للتدريس و التعليم يكون فيه الطلبة بعيدين عن مدرسيهم لمعظم الفترة التي يدرسون فيها.

إنّ فالتعلیم عن بعد نظام بعيد كل البعد عن نظام المواجهة الحالية و الحقيقية بين المعلم و الطالب و يعرفه هولمبرج بأنه تعلیم يشمل على جميع الطرق الدراسية في كل المستويات التعليمية التي لا تخضع لإشراف مباشر من قبل المعلم، بمعنى أن المعلم لا يشترط التقاءه مع المتعلمين بصورة رسمية مستمرة و عدم التقاء المعلم بالدارسين في حجرة الدراسة لا يعني أن هذا النوع من التعلیم يفنقر إلى التخطيط أوالإشراف و المساندة من المؤسسة التعليمية المنفذة.

مبادئ و معايير تحكم النمو المهني للمعلم:

تقوم برامج النمو المهني على افتراض أن المعلم هو العامل الأكثر أهمية في تعلیم الطلاب، و أن جودة أدائه تتأثر بمجموعة من الكفايات العلمية و المهنية التي يكتسبها قبل و أثناء الخدمة، و من ثم فان النمو المهني يرتكز على المعلم لدعم كفاياته التربوية و الأكاديمية .

و يعتمد نجاح برامج النمو المهني على الدافعية الداخلية و الفعالية الذاتية للمعلمين للمشاركة في أنشطته، فالنمو المهني الموجه ذاتيا يحدث فقط من خلال الإرادة، و استشارة هذه الإرادة جزء من مسؤوليات و مهارات القيادة التربوية. و على هذا فان دليل النمو المهني يعتمد على ستة معايير للنمو المهني تقوم على أساس أن أكثر العوامل حسما في تعلم الطلاب هو الأستاذ الكفاء و يمكن ذكر هذه المعايير بإيجاز على النحو التالي:

1- يرتكز النمو المهني للتعلم على تعلم الطلاب، و كما نعلم فدعم الكفايات العلمية و المهنية للأستاذ لا يقتصر أثره على الأستاذ نفسه بل ينعكس بدوره على تعلم الطلاب.

2- يتعين ان يتم تفصيل Tailored برامج و أنشطة النمو المهني وفق حاجات المعلم الفرد، و في ضوء مستوى خبرته المهنية و خصائص شخصيته و المقررات التي يقوم بتدريسها .

3- يدعم النمو المهني الإعداد الذي حصل عليه المعلم قبل الخدمة.

4- النمو المهني عامل حاسم في كل برامج الإصلاح و التحسين التربوي، ومن ثم يجب أن تكون برامجه جزء لا يتجزأ من خطة هذا التحسين، و يعتبر النمو المهني الجيد إحدى خصائص الأداء المتميز .

5- يتسق النمو المهني (في أهدافه ومحتواه) مع المتطلبات الأساسية للتعلم الأكاديمي و توقعات الطلاب، و من ثم يتعين تصميم برامج النمو المهني بحيث تزود المعلمين بالمعلومات و المهارات الضرورية لمساعدة كل الطلاب على الوفاء بالمعايير الأكاديمية.

6- يتسق النمو المهني مع متطلبات القيادة التربوية العليا.

ثانيا : أهم التحديات المعاصرة

تعد التنمية المهنية لأستاذ الجامعة إحدى القضايا المهمة التي تشغل فكر المسؤولين والعاملين في المؤسسات الجامعية وذلك لأن عليها يتوقف نجاح المنظمة الجامعية في تحقيق أهدافها، ولذا فمن الضروري أن يسعى أستاذ الجامعة لتنمية نفسه مهنيا حتى يكون قادرا على التكيف و التعامل مع التكنولوجيا الحديثة ومتغيرات العصر الذي يتسم بسرعة التغير والتطور نظرا لسيطرة ثورة الاتصالات والمعلومات والثورة العلمية والتكنولوجية على مختلف مناحي الحياة.

إن زيادة الطلب على التعليم الجامعي بالإضافة إلى متغيرات العصر التي تتضمن التقدم المعرفي والرقى التكنولوجي والانفتاح الاقتصادي وما يدور على الساحة الدولية من كثرة نداءات و شعارات مثل النظام العالمي الجديد، والعولمة، وثورة المعرفة، وثورة الاتصالات، كل هذه الظواهر والمتغيرات تفرض على أستاذ الجامعة الاهتمام بالتنمية وذلك لتحقيق ذاته ليتمكن من تطوير مؤسسته وإعداد وتهيئة طلابه ليستطيعوا التكيف مع متغيرات العصر وتحدياته .

إن هذا يؤكد وجود علاقة جدلية بين التربية والمجتمع وكلاهما فاعل والآخر ومنفعل به، هذا وتلعب التربية دورا كبيرا في مختلف التغيرات الاجتماعية التي يشهدها العالم اليوم على المستوى المحلي و العالمي لأنها تتأثر بكل هذه التغيرات و تؤثر فيها مثل التغيرات الحادثة بسبب العولمة و الانفجار المعرفي و ثورة الاتصالات.

و هذه التحديات التي تواجه التربية لا تقتصر على الطابع التعليمي فقط و لا على التربية النظامية أيضا بل تتجاوز ذلك إلى تلك الشبكة التربوية الواسعة التي تضم الأسرة و المجتمع و التعليم النظامي واللائنظامي و جميع أشكال التعليم الرسمي و غير الرسمي و كل ما يستهدف إعداد الإنسان الفرد و تهيئته وتشكيله للحياة في نمط المجتمع الحديث متكيفا مع كل التحديات العالمية التي تحيط به.

ولكن نتساءل : ما المقصود بالتحدي ؟

إن كلمة التحدي تشير إلى أزمة تنجم عن شيء جديد يأخذ صفة المعاصرة لحين ظهور غيره يولد الحاجة لدى المجتمع الذي يندفع بها نحو التغلب عليه، و تتطلب تغييرا شاملا في شتى مناحي الحياة وخاصة التربية و مناهجها، و إذا كان العصر ذا طبيعة علمية فانه يحتاج الى فلسفة تربوية من نوع خاص وهي فلسفة العلوم التي تعيد النظر في منطلقات و أصول و مناهج التربية في ضوء هذه التحديات.

و التحديات ليست بالشيء الحديث و المعاصر فهي قديمة قدم البشرية و لكننا اليوم نعيش في عالم متغير يظهر فيه تدفق المعلومات والمعارف والتكنولوجيات مما يجعلنا بصدد الانصراف عن علوم بأكملها والالتفات إلى علوم جديدة لم تكن معروفة، وهذا يعني انتهاء عصر تكنولوجيات سائعة وقيام تكنولوجيات تقوم على هذه العلوم الجديدة، وهذا بدوره يؤدي الى ظهور الحاجة الى أنواع جديدة من العمل و انقضاء الحاجة الى أنواع العمل السائدة.

ويؤيد هذا أن معظم علماء المستقبل يرون أن المنظومة الدولية منذ سبعينات القرن العشرين شهدت تحولا كبيرا من المجتمع الصناعي إلى مجتمع المعلومات والاتصالات، هذا التغير يعتبره العلماء ثورة وأطلق **توفلر** (1980، **Toffler**) على هذه الثورة الموجه الثالثة (**Third Well**)، وأطلق **نياسبت** (1982، **Nesbit**) عليها التكنولوجيا العالية، ووصف العلماء هذه الثورة في الآتي:

- نظم الاتصال: هذه الثورة التي يصفها العلماء تلاحظ بسهولة في الحياة اليومية، فنظم الاتصال الحديثة مثل التليفون والتليفزيون والحاسوب، والإنترنت تستخدم في أنشطة مختلفة مثل استخدام الفيديو والحاسوب في مجال التدريس.

- الإنسان الآلي: مثال آخر على سيادة النظم الإلكترونية في الحياة اليومية للأفراد، فإن الإنسان الآلي صار يقوم بالأعمال المنزلية وينقل الطعام من المطبخ إلى أي مكان في المنزل، أو إلى حجرة المريض في المستشفى، واستخدام الإنسان الآلي يتزايد بسرعة كبيرة في قطاع البترول، و تدل مؤشرات مستقبلية على أن بحلول نهاية العقد الأول من القرن الحادي والعشرين سوف يسيطر الإنسان الآلي على الجزء الأكبر من قطاع التصنيع لا سيما الصناعة الآلية.

هذا و تتجسد التحديات المعاصرة في الثورة العلمية التكنولوجية المعاصرة التي لم تعد مواكبتها قضية تنمية و بناء و تقدم فقط، إنما قضية أن نكون أو لا نكون. لذا سوف نركز على أهم التحديات المرتبطة بطبيعة هذه الدراسة و هي:

- حدي العولمة

- تحدي ثورة المعلومات و الاتصالات.

1- تحدي العولمة :

منذ عقد التسعينات و الحديث يجري على نطاق واسع في كل أنحاء العالم و على كافة المستويات و بين كل الفئات عن تحدي العولمة وقد أخذت العولمة تتسارع بشكل خاص خلال التسعينات من القرن العشرين مستمدة حيويتها من الثورة العلمية التكنولوجية و من التطورات المذهلة في وسائل الاتصال والمعلومات والتي استطاعت بطريقة عملية أن تخترق حواجز الزمان و المكان التي تقود الى المستقبل. لقد أصبحت العولمة الآن هي القوة الرئيسية التي تقود البشرية لمعطيات و متطلبات الألفية الثالثة و أصبح من الواضح أن معظم التحولات الاقتصادية والسياسية والثقافية المذهلة التي يشهدها العالم هي إما سبب من أسباب العولمة أو مجرد نتيجة من نتائجها الضخمة، ولذا فهذه الظاهرة تعرف بأنها " ما يتسم به عالم اليوم من التداخل الواضح و المتزايد لأمر الاقتصاد والاجتماع والسياسة والثقافة والسلوك دون اعتبار يذكر بالحدود السياسية للدولة ذات السيادة أو انتماء لوطن محدد أو لدولة معينة وبغير حاجة لإجراء حكومي".

فالعولمة تتضمن في جوهرها الانتقال من المجال الوطني القومي والتي تعني وجود الحدود في المجال العالمي أو الكوني أي تجاوز الحدود، و تشمل اللاحد

المكاني (حيث يشمل ذلك الفراغ الكوني كله) واللاحد الزماني (و يشمل حقبة ما بعد الحداثة و ما بعد الصناعة) واللاحد البشري (و يشمل الجماعة الإنسانية كلها).
فالعولمة تمثل تحديا كبيرا يلزمنا مواجهته و العمل على تعظيم مصالحنا حيالها ومكاسبنا من ورائها وفي نفس الوقت نحاول قدر الإمكان التقليل من آثارها السلبية و ذلك لأن لها تأثيراتها الخطيرة على التعليم والعملية التعليمية، ولذا ينبغي إعادة النظر في نظام التعليم ومناهجه وأساليبه وأدواته، واقتراح السبل ووضع الأسس والمعايير لتطويره في ضوء تحديات العولمة وذلك يتطلب توفير تعليم يتفق ومتطلبات العصر و يتناسب مع مظاهر العولمة، وهذا التعليم يسهم في تهيئة الفرد و المجتمع لحقائق عصر العولمة والثورة العلمية وعصر الانفتاح الإعلامي والثقافي.
إن هذه المظاهر تستوجب من المؤسسة الجامعية أن تهتم بتحديد نظامها وأول هذه المهام الاهتمام بالأستاذ و تميته مهنيا ليستطيع التكيف مع مظاهر العولمة و تحدياتها وذلك يتطلب :

- 1- توفير الدورات التدريبية لتدريبهم على أحدث الأساليب العلمية التي تسهم في تميتهم مهنيا.
- 2- عقد دورات تدريبية على كل جديد ومستحدث في مجال التخصص .
- 3- تدريبهم على أحدث النظريات العلمية الأكاديمية .
- 4- تنمية مهارات البحث العلمي ومقوماته.
- 5- تنمية التفكير العلمي.
- 6- إعداد جيل جديد من أعضاء هيئة التدريس مزود بفكر جديد وبأساليب تكنولوجية تستطيع التعامل مع متغيرات عصر العولمة .

2- تحدي ثورة المعلومات و الاتصال:

يقصد بثورة المعلومات ما حدث من انفجار معلوماتي أدى إلى الزيادة الكمية الهائلة في المعلومات فنورة المعلومات التي تشهدها بلدان العالم المختلفة هي نتيجة طبيعية للتطور الهائل في مجال التكنولوجيا ووسائل الاتصال وذلك لاعتمادها على العلم والمعرفة في كل مراحلها .

وترجع بداية ثورة الاتصالات وما نتج عنها من ثورة المعلومات إلى العالم الإيطالي (ماركوني) الذي استطاع إرسال أول إشارة لا سلكية على مدى ميل، ثم تطورت إلى أن وصلت عشرة أميال، ثم استطاع إرسال إشارة لا سلكية عبر المحيط الأطلنطي بين القارات الخمس (1901م) وقد أنشأ أول إذاعة في العالم عام 1919 م مما حفز الأكاديمية السويسرية على منحه جائزة نوبل في الفيزياء مناصفة مع عالم آخر ولقد لقب بأبي الاتصالات اللاسلكية في العالم فبفضله تم ربط العالم كله بشبكة من الاتصالات والمحطات الإذاعية التي أسهمت في تطوير الحياة البشرية حتى وصلنا إلى عصر الإنترنت وثورة المعلومات.

وفي الستينات من القرن العشرين ظهر الراديو والتلفزيون ثم تطور الأمر حتى ظهرت شبكة الإنترنت وتعد شبكة الإنترنت Internet شبكة الاتصالات العالمية أكبر شبكة من نوعها في العالم وتمتاز بسرعة نقل المعلومات بصورة عالية جدا لأنها تلغي الزمان والمكان وتمحو في الوقت نفسه المعالم التقليدية لهوية الفرد والجماعة من خلال التفاعلية وصولا إلى العقل الكوكبي.

وقد شهدت تكنولوجيا الاتصال تطورا هائلا في كافة المجالات ومنها المجال التعليمي، ويشير ماسون (1999 ، Masson) إلى أن التحديث المستمر في تكنولوجيا الاتصالات أدى إلى سهولة الاتصال والتفاعل الدائم والميسر للتعليم عن بعد مع أعداد كبيرة من الطلاب في جميع أنحاء العالم وذلك من خلال النظم المقروءة كالبريد الإلكتروني والفاكس والنظم المسموعة كالمؤتمرات السمعية ومؤتمرات الفيديو وغيرها.

إن هذه التغيرات المتلاحقة في ثورة العلم والمعلومات بسبب ثورة الاتصالات تفرض على التعليم الجامعي والمسؤولين عن هذا القطاع من التعليم وتطوير أنفسهم وتطوير أنظمتهم التعليمية حتى يستطيعوا الاستفادة من هذه التغيرات الدائمة الحدوث ليتمكن مجتمعنا من اللحاق بركب الحضارة والتقدم السائدة في دول العالم أجمع، كما أنها تفرض نفسها على أستاذ الجامعة ليطور نفسه حتى يلحق بكل ما يحدث من تغيرات محلية و عالمية الأمر الذي يدفعنا إلى القول بأننا نحتاج إلى فلسفة تربوية جديدة تتفق وثورة المعلومات والاتصالات، وذلك يتطلب تغييرات جوهرية في برامج

التعليم الجامعي وآلياته وفي كيفية إعداد أستاذ الجامعة و تأهيله حتى يصبح أستاذ
عصريا في مجتمع المعلومات فكرا وسلوكا وأداء .

وفي صورة ثورة الاتصالات يشير كاستليز (Castells، 1997) إلى انه من بين
الاتجاهات التي شكلت المجتمع مع بداية القرن الحادي و العشرين ثورة الاتصالات
والقدرة على استخدام الكمبيوتر وما ترتب على ذلك من نتائج تمثلت في اللامركزية
وانتشار قوة المعلومات والتنوع في وسائل الإعلام وتعزيز وسائل الاتصال المؤثرة
والمتفاعلة، والاستخدام الواسع لشبكة المعلومات العالمية، الانترنت، وهي تستخدم في
التعليم بقوة للعديد من الأسباب:

- 1- الانترنت مثال واقعي للحصول على المعلومات من مختلف أنحاء العالم.
- 2- تساعد الانترنت على التعلم التعاوني الجماعي.
- 3- تساعد الانترنت على الاتصال بالعالم بأسرع وقت وبأقل تكلفة.
- 4- تساعد الانترنت على توفير أكثر من طريقة في التدريس ذلك أنها بمثابة
مكتبة كبيرة تتوفر فيها جميع الكتب.

وذهب كل من الفن و هايدي (1996) إلى أبعد من ذلك فقالوا إن الأعمار
الصناعية و القنوات الإعلامية الفضائية التي تبثها تلك الأعمار في كل مكان تنتهك
اليوم الاستقلال والسيادة الوطنية، ومع ذلك فان الأمر يحتاج إلى تفاهم دولي لكي لا
يتحول هذا الانتهاك إلى تضييع للثقافات الوطنية و إذابتها فيما يسمى بالثقافة العالمية

و ينادي حامد عمار (2001) بمواجهة قضية لهوية الثقافية في إطار من
الإعصار الكوكبي و ما يتطلبه ذلك من منهجية علمية عقلانية تفيد من منجزات
الثورات العلمية و المعلوماتية.

قائمة المراجع:

- 1- إسماعيل صبري عبد الله: الكوكبية، الرأسمالية العالمية في ما بعد مرحلة الإمبريالية، مجلة المستقبل
العربي، السنة العشرون، العدد 222، بيروت، أغسطس 1997 .
- 2- الفن توفلر: حضارة الموجة الثالثة، ترجمة عصام الشيخ، الدار الجماهيرية الليبية للنشر، مصر
1990 .

- 3- بيل جيتس: المعلوماتية بعد الإنترنت، ترجمة عبد السلام رضوان، الكويت، المجلس الوطني للفنون والآداب، عالم المعرفة، العدد 31، 1988 .
- 4- حافظ فرج أحمد: التربية وقضايا المجتمع المعاصر، القاهرة، عالم لكتب، 2003 .
- 5- دوني توني: دليل إدارة مؤسسات التعليم عن بعد، ترجمة خليل حماشي، الدار العربية للموسوعات بيروت 1987.
- 6- السيد ياسين: العولمة و الطريق الثالث، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2000 .
- 7- شعيب المنصوري: التعليم عن بعد، مفاهيم و أطر، مجلة اتحاد الجامعات العربية، عمان، الأردن، 1986 .
- 8- عبد الفتاح حجاج: أستاذ الجامعة وتحديات القرن الحادي والعشرين، التعليم العالي العربي وتحديات مطلع القرن الحادي والعشرين، وقائع المؤتمر العلمي السنوي الثاني لقسم أصول التربية بكلية التربية جامعة الكويت، 18-20 أبريل 1994.
- 9- عبد المنعم السلاموني: اختراعات ومخترعون، مجلة العلم، القاهرة، أكاديمية البحث العلمي، العدد 259، 1997.
- 10- محمد عادل سودان، تهيئة الأستاذ الجامعي، ندوة عضو هيئة التدريس في الجامعات العربية، جامعة الملك سعود ، الرياض، 1983.
- 11- محمد عبد العليم موسى: حتى يكون هناك شيء من الإنصاف لعضو هيئة التدريس في جامعاتنا العربية، رسالة الخليج العربي، 1986.
- 12- محمد كتش: فلسفة إعداد المعلم في ضوء التحديات المعاصرة، القاهرة، مركز الكتاب للنشر، 2001.
- 13- محمد منير مرسى: الاتجاهات الحديثة في التعليم الجامعي المعاصر وأساليب تدريسه، القاهرة، دار النهضة العربية، 1992.
- 14- محمد نبيل نوفل: التعليم عن بعد، ندوة منتدى الفكر العربي مع جامعة القدس المفتوحة، عمان الاردن، 1986.
- 15- محمد عباس عابدين: رؤية لتطوير التعليم الجامعي، مجلة التربية والتنمية، العدد 16، المكتب الاستشاري للخدمات التربوية، مارس 1999 .
- 16- مروان كمال : مشكلات عضو هيئة التدريس الجامعي، ندوة عضو هيئة التدريس في الجامعات العربية، جامعة الملك سعود، الرياض، 1983 .
- 17- معين حلمي: التعليم عن بعد ودوره في دعم مؤسسات التعليم العالي في الوطن العربي، توجيهات مستقبلية، مجلة اتحاد الجامعات العربية ، العدد 33 ، 1998
- 18- ميخائيل فولان، اندي هارجز يفز : النمو المهني للمعلم والتغيير، سلسلة الكتب المترجمة، رقم (10) المركز القومي للبحوث التربوية والتنمية، القاهرة، 1999.